بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب] .

أما بعد :

تأتي التفجيرات المتتابعة في كينيا وتنزانيا في أغسطس ١٩٩٨ ، ثم برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك في سبتمبر ٢٠٠١ ، ثم بالي في إندونيسيا في أكتوبر ٢٠٠٢ ، ثم مدينتي الرياض والدار البيضاء في مايو ٢٠٠٣ لتترجم رؤية تنظيم القاعدة لكيفية الخروج من المأزق الذي تعيشه أمة الإسلام اليوم ، فقد اختط أقطاب القاعدة استراتيجية التفجيرات في إطار ترجمة الفتوى الشهيرة للشيخ أسامة بن لادن القاضية : « بقتل المدنيين الأمريكان في أي مكان في العالم » والتي تشكلت على أساسها ما عرف بـ : « الجبهة العالمية لقتال الصليبيين واليهود والأمريكان » .

لقد ظن أقطاب تنظيم القاعدة أنهم بتلك الجبهة ، وعبر هذه الاستراتيجية يُخرجون الأمة من أزمتها ، ويُقيلونها من عثرتها ، ويجبرون أعدائها على تركها وشأنها .

وجاءت الأحداث وتوالت ليكتشف من كان غافلا عن خطورة وخطأ هذه الاستراتيجية أن الأمة في ظلها ازداد مأزقها وتعاظمت أزمتها ، فالأعداء تكالبوا عليها واجتمعوا ، والأخطار أحدقت بأقطارها والتهمت منها ما التهمت .

فها هي خريطة الأمة في أفغانستان والعراق تستقبل القرن الجديد باحتلال عسكري لهما ظن الناس أنه ولى إلى غير رجعة منذ منتصف القرن الماضي .

وصارت الأمة حكاما ومحكومين في مأزق متزايد وأمام خيارات أحلاهما مر .

ولما كانت هذه الاستراتيجية مازالت قائمة ، ويجرى وضعها موضع التنفيذ على قدم وساق ، وكانت الأمة بأسرها تعاني آثارها الوخيمة ، وكان البعض من أبناء الأمة يستقبلونها بعواطف جياشة ؛ لزم علينا والحال كذلك أن نضع هذه الاستراتيجية وما تفرع عنها من أعمال تحت مجهر الشريعة لنرى مدى صحتها وملاءمتها .

ونحن إذ نناقش استراتيجية القاعدة في هذا الكتاب ، لا ننحو مَنْحى آخرين في الانطلاق في تلك المناقشة من وصم القاعدة وأقطابها بالعمالة لأمريكا ، أو الخيانة للأوطان أو الارتزاق من أجل دراهم معدودة .. فالحقيقة غير ذلك ، والواقع يخاصم هذا ، ولكننا سننطلق في هذه المناقشة من منطلقين أساسيين .. هما :

الأول : أن اختلافنا الجوهري مع تنظيم القاعدة سواء على مستوى الفهم أو الممارسة للجهاد لا يعني - بحال - قدحًا في نياتهم أو حبهم للإسلام ، **فلا شك في كونهم يحبون الدين ، ولكن لا شك أيضا في أنهم قد أخطأوا الطريق والاختيار .**

الثاني : إن تخطئتنا لاستراتيجية تنظيم القاعدة لا تعني إغفال الأسباب التي دفعتها لانتهاج هذه الاستراتيجية ؛ لأن الوقوف على هذه الأسباب يمثل أحد المقدمات الهامة لتحديد سبل العلاج ، فلا يصح في هذا المقام إغفال دور السياسات الأمريكية الظالمة تجاه قضايا العالم الإسلامي عامة وفلسطين خاصة في توليد مثل هذه الأعمال وظهور مثل هذه الاستراتيجيات .

وإذ كنا نبحث عن الأسباب التي تقف وراء ظهور تلك الظاهرة الجهادية الخاطئة فلا بد من الإشارة إلى الخلل الذي تكشف عنه هذه الممارسات ويظهر على أكثر من مستوى :

- فهناك خلل على مستوى فهم الجهاد كشريعة من شرائع الإسلام .
- وهناك خلل على مستوى معرفة الأحكام الشرعية وضوابطها .
- وهناك خلل على مستوى قراءة الواقع وتنزيل الأحكام الشرعية عليه .

ولقد جاءت التفجيرات الأخيرة في مدينتي الرياض والدار البيضاء في مايو ٢٠٠٣ لتكشف بقوة عن الخلل في هذه الاستراتيجية سواء على مستوى فهم الجهاد أو تنزيل الأحكام الشرعية عليه .

جاءت هذه التفجيرات لتجعل التصدي لرؤية واستراتيجية تنظيم القاعدة – تمحيصا وتقييما – أكثر إلحاحا من ذي قبل . ومن هنا يأتي هذا الكتاب ليناقش تلك الاستراتيجية ويبين الخلل الذي يعتريها من منطلق قوله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] **وانطلاقا من قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « الدين النصيحة »**[1] .

وينقسم هذا الكتاب إلى تمهيد وفصلين وخاتمة على النحو التالي :

تمهيد : الجهاد بين رؤيتين : « رؤية المبادرة .. ورؤية القاعدة » .

الفصل الأول : استراتيجية القاعدة .. فهم قاصر وقراءة خاطئة للواقع .. وهو على مبحثين :

- **المبحث الأول** : « استراتيجية القاعدة .. قراءة خاطئة للواقع » .
- **المبحث الثاني** : « استراتيجية القاعدة .. فهم خاطئ لفريضة الجهاد » .

الفصل الثاني : « تفجيرات القاعدة من الحادي عشر من سبتمبر إلى تفجيرات الرياض .. استدلالات خاطئة » وهو على مبحثين كالتالي :

- **المبحث الأول**: القواعد الأصولية الضابطة لتنزيل الأحكام الشرعية .
- **المبحث الثاني** : من تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر إلى تفجيرات الرياض والدار البيضاء .. رؤية شرعية . وهو على مطلبين :
- **المطلب الأول** : « فتوى قتل المدنيين الأمريكان عرض وتمحيص » .
- **المطلب الثاني** : « تفجيرات القاعدة من الحادي عشر من سبتمبر إلى الرياض .. تقييم شرعي »

ونحن إذ نتناول استراتيجية القاعدة عبر صفحات هذا الكتاب استعراضا وتقييما ، **لا يسعنا قبول منطق بعض الأحبة** الذين يُحَبذون عدم التعرض لأعمال القاعدة خاصة والمجاهدين عامة بالتحليل أو التقييم ، وحجتهم في ذلك أن مثل هذا التقييم يحمل بين طياته قدحا في المجاهدين وتثبيطا لهممهم ، وإشغالا عن أهدافهم وإعانة لأعدائهم ولسان حال هؤلاء الأحبة يقول : **إذا لم تكن مجاهدا فدع المجاهدين وشأنهم**

---

(١) أخرجه مسلم [٥٥ /٩٥] عن تميم الداري رضى اللَّه تعالى عنه ، ولتمام الفائدة : راجع شرحا بديعا وافيا لهذا الحديث في كتاب « جامع العلوم والحكم » للإمام الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب الحنبلي .

ومثل هذا المنطق ربما يكون مقبولا إذا كنا بصدد جهاد استوفى شرائطه الشرعية ، ولم يكن ثمة خلاف حول الآثار المترتبة عليه ، أو الجدوى المتوقعة منه ، أما إذا كان الأمر متعلق بما نراه اليوم من أعمال جهادية منسوبة لتنظيم القاعدة **فلا نشك في خطأ هذا المنطق ، ثم هل يمكن قبول هذا الأمر وقد تعلقت هذه الأحداث بإراقة دماء معصومة وبمستقبل أمة الإسلام عامة ؟**

فهذا المنطق تأباه الشريعة الإسلامية التي جعلت الرابطة الإيمانية بين المؤمنين توجب تواصلا وتناصرا بينهم وتواصيا بالحق فيما بينهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر] .

فهل يقبل ترك التواصي المثمر بين المؤمنين ؟!

وهذا المنطق الرافض لتقييم استراتيجية وأعمال القاعدة , يتصادم مع سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم التي أوجبت على المسلم تقديم النصح لكل مسلم ، أو لم يقل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « الدين النصيحة »[1] ! وعندما قيل لمن يا رسول اللَّه ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » **فهل يُقبل ترك النصيحة التي جعلها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم جوهرا للدين ؟!**

بل هذا المنطق يهمل حقيقة قرآنية جوهرية وهو أنه لا أحد فوق المراجعة أو التقييم ، أولم يقل اللَّه سبحانه وتعالى لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] وهو الرسول الخاتم ؟!

وهذا المنطق في حقيقته يسبغ عصمة على أعمال وأفعال من لا عصمة له من البشر ، ومن لوازم هذا المنطق كتم الحق والسكوت على الخطأ ، ومن نتائجه استمرار مسيرة الأخطاء دون استدراك أو تصحيح ، وتزايد الأخطار دون تحجيم أو تطويق .

أما الادعاء بأن هذا التناول لاستراتيجية القاعدة تثبيطا للمجاهدين فهو ادعاء تكفل القرآن الكريم بالرد على قائليه حينما خاطب المؤمنين المجاهدين بعد غزوة أحد قائلا : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ

(١) سبق تخريجه .

فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

فهل كان القرآن مثبطا للمجاهدين عندما قال لهم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

وهل كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قادحا في المجاهدين عندما رفع يديه قائلا : « اللَّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد « عندما بلغه ما صنع خالد ببني جذيمة » ؟!(١)

لم يكن القرآن مثبطا - حاشا وكلا - بل كان معلما ومرشدا ، ولم يكن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ذاما للمجاهدين أو قادحا - حاشا وكلا - بل كان مرشدا أمينا .

وانطلاقا من تعاليم القرآن وإرشادات النبي صلى اللَّه عليه وسلم يأتي هذا الكتاب ليناقش استراتيجية القاعدة من منظور شرعي وسياسي يربط بين الواقع المعاش والشرع الواجب ، واستجابة لقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ [النساء : ١٣٥] ، ولقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

يأتي هذا الكتاب نصيحة للمؤمنين ، ووصية للصالحين ، وبيانا للمجاهدين ، ودعوة للمحبين المهمومين بحاضر أمة الإسلام ومستقبلها ، لعله يكون - مع غيره - شعاع نور يساعد كل أولئك على تبين الخطأ من الصواب والحق من الباطل في تلك القضايا .

فما كان فيه من خير فهو من اللَّه تعالى ، وما كان غير ذلك فهو من النفس والشيطان ، نسأل اللَّه تعالى أن يلهمنا التوفيق والسداد ، وأن ييسر لأمتنا سبل الإفاقة من الغفوة ، والنهوض من الكبوة ، والانطلاق نحو القمة ، إنه سبحانه سميع قريب مجيب .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود : ٨٨] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلفون

(١) رواه البخاري [٤٣٣٩] عن عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه تعالى عنهما .

تمهيد

الجهاد بين رؤيتين

رؤية المبادرة .. ورؤية القاعدة

تمهيد :

الجهاد بين رؤيتين .. رؤية المبادرة ورؤية القاعدة

قبيل بزوغ فجر القرن الحادي والعشرين بسنوات قليلة تبلورت رؤيتان متباينتان بشأن الجهاد وقضاياه النظرية والعملية ، ثم ما لبثت أن عبَّرت كل رؤية منهما عن نفسها بصورة عملية علنية صارت ملء السمع والبصر .

واتضح لكل المراقبين والمهتمين بالشأن الإسلامي عامة والجهادي خاصة أن هناك طرحين مختلفين ورؤيتين متباينتين .

أما الرؤية الأولى : فقد ترجمتها مبادرة وقف الأعمال القتالية التي أعلنتها الجماعة الإسلامية المصرية في الخامس من يوليو ١٩٩٧م والتي بمقتضاها أوقفت الجماعة الأعمال القتالية ، والبيانات المحرضة عليها داخل مصر وخارجها [١].

أما الرؤية الثانية : فقد عبر عنها إعلان الجبهة الإسلامية العالمية لمواجهة الصليبيين واليهود والأمريكان التي انضوى تحتها عدد من الجماعات الإسلامية في بلدان عدة بقيادة « **أسامة بن لادن** » ، والتي اتخذت من أفغانستان قاعدة لها ومن حركة « طالبان » الحاكمة درعا تحتمي به .

وجاء تأكيد الجماعة الإسلامية المصرية على عدم دخولها في تلك الجبهة ؛ ليكشف عن عمق الاختلاف بين الرؤيتين على أكثر من صعيد :

- فهناك اختلاف في فهم الأحكام الشرعية وتنزيلها على الواقع .
- وهناك اختلاف في فهم الواقع واستيعاب تحدياته التي يذخر بها .
- وهناك اختلاف على صعيد ترتيب الأولويات .
- ومن الطبيعي أن يتولد مما سبق اختلاف في تحديد نمط وشكل الاستجابات للتعامل مع تلك المعطيات .

وجاء توالي الأحداث التي قام بها تنظيم القاعدة ليؤكد عمق الاختلاف ، وليبلغ ذروته مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م .

---

(١) لمزيد من الفائدة راجع كتاب : « مبادرة وقف العنف .. رؤية شرعية ونظرة واقعية » والذي صدر عن مكتبة التراث الإسلامي بأقلام القادة التاريخيون للجماعة الإسلامية المصرية .

وكان من الطبيعي أن تقف الجماعة الإسلامية موقفا معارضا لتلك الأحداث لإخلالها ببعض الأحكام الشرعية ، وإهدارها للمصالح المعتبرة شرعا ، وما يترتب عليها من مفاسد عديدة بدءا من انهيار دولة أفغانستان الإسلامية وانتهاء بالوقائع شبه اليومية الساعية لاستئصال كل تجليات الظاهرة الإسلامية في إطار استراتيجية الحرب الوقائية ضد الإرهاب والخطر الأخضر وفقا للتعبير الأمريكي .

وإذا كنا سنناقش رؤية القاعدة تلك في جل صفحات هذا الكتاب مناقشة مستفيضة فقد يكون من المناسب سبر أغوار رؤية الجماعة الإسلامية ومبادرتها عبر السطور القادمة .

ماذا تمثل مبادرة وقف الأعمال القتالية ؟

عندما أُعْلِنَ البيان الأول للمبادرة في الخامس من يوليو ١٩٩٧ خلال إحدى جلسات المحكمة العسكرية التي تنظر القضية رقم ٢٣٥ تعددت التحليلات بشأنها والتفسيرات لها :

- فمن قائل يقول : إنها صفقة بين الدولة والجماعة .
- وآخر يرى أنها من قبيل التقية والخدعة التكتيكية .
- وثالث يتوهم أنها من جنس إقرارات التوبة .
- ورابع يرى فيها إبطالا للجهاد وخيانة للشهداء .
- ومنصف يقول : أنها رؤية ويجب أن تتاح لها فرصة .

ولا شك في أن المبادرة لم تكن صفقة بمقتضاها تعطي الدولة للجماعة بعضا من الدنيا في مقابل طمس بعض معالم الدين ، فالدين وأحكامه لا يشترى ولا يباع في سوق الصفقات ، والمبادرة عند صدروها لم تكن مخاطبة للدولة بقدر مخاطبة أعضاء الجماعة الإسلامية بالداخل والخارج طالبة منهم إيقاف العمليات القتالية دون قيد أو شرط ، فضلا عن أن الدولة لم يكن من همها البحث عمن يطمس معالم الدين أو السعي لذلك .

ولا شك أيضا في أن المبادرة لم تكن إعمالا لمبدأ التقية أو من قبيل الخدعة التكتيكية ؛ لأن الجماعة الإسلامية تنطلق من الفكر السني وهو فكر يخاصم فكرة التقية المعروفة في الفكر الشيعي ، بالإضافة إلى الإعلان الدائم والمتكرر لأقطاب الجماعة بأن المبادرة تمثل رؤية استراتيجية ولا ترتبط بحالة افتقاد القدرة أو انحسار العمليات القتالية بمصر ، ويكفي للتدليل على صحة ذلك **المحاولات العديدة التي قامت بها القيادة التاريخية للجماعة الإسلامي**

لوضع حد لهذه المواجهات عندما كانت العمليات القتالية في قمتها ، ولعل أشهر هذه العمليات ما عرف في ١٩٩٣ بلجنة الحكماء والوساطة التي كان على رأسها الشيخ محمد متولي الشعراوي ، والشيخ محمد الغزالي رحمهما الله مع كوكبة من العلماء والمفكرين والصحفيين والمحامين .

ومن الخطأ الفادح أن يسوى بين المبادرة وإقرارات التوبة ؛ لأن تلك الإقرارات كانت تصدر في كثير من الأحيان كمخرج وحيد من الاستمرار في المعتقلات بغض النظر عن توفر القناعات ، بينما المبادرة جاءت لتصحح الأخطاء وتعزز الصواب وتبين مناطق الاتفاق والاختلاف مع الدولة من خلال رؤية شرعية واضحة بينة ، وقناعة تسعى لترسيخها ، ولم يكن في المبادرة ما يعد إبطالا للجهاد أو خيانة للشهداء ، فالمبادرة تقرر أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ولكنها فريضة لها ضوابط يجب توفرها كي يصح إنفاذها ، فكيف يقال : بعد ذلك أنها تبطل الجهاد لمجرد أنها تقرر عدم توفر شروط الجهاد أو استمراره في مصر اليوم ؟

وكيف يقال : أنها خيانة للشهداء ؟ والخيانة الحقيقية للشهداء هي عندما نخون الدين ونقول باستمرار قتال لم تتوفر شروطه الشرعية أو وجدت له موانع فقهية ، وهل خان خالد ابن الوليد سيف الله المسلول شهداء مؤتة عندما ترك قتال الروم وعاد قافلا للمدينة ليلقى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسن صنيعه[1] ؟ وهو قتال بين مؤمنين وكافرين فما بالنا إذا كانت المبادرة جاءت لإيقاف قتال بين المسلمين .

فإذا كانت المبادرة لا تمثل صفقة ، أو خدعة تكتيكية ، أو من جنس إقرارات التوبة ، أو تبطل الجهاد أو تخون الشهداء فماذا تمثل إذن ؟

الحقيقة أن المبادرة - كما وصفها بعض المنصفين - تمثل قناعة شرعية ورؤية واقعية ويجب أن تتاح لها فرصة .

وتلك الرؤيا وهذه القناعة التي تمثلها المبادرة تنطوي على أبعاد عديدة منها :

أولا : نقطة انطلاق لإيقاف مسلسل الصدام والأحداث التي شهدتها مصر من صيف عام ١٩٩٢ حتى موعد إطلاق المبادرة ، وذلك تمهيدا لحل المشكلات القائمة بين

(١) راجع سيرة ابن هشام [٥ / ٢٢ - ٣٤] .

أبناء الجماعة الإسلامية والدولة بما يمنع تجددها ويضع علاجا لها من جذورها وبما يقدم نموذجا يحتذى في هذا الصدد .

ثانيا : مثلت المبادرة نقطة انطلاق لإتمام واجب المراجعة لمسار العمل الإسلامي للجماعة خلال العشرين عاما الماضية . تلك المراجعة التي يجب أن تقوم بها أي حركة من أجل اكتشاف نقاط الصواب لتعزيزها ونقاط الضعف ومواطن الخلل والخطأ لعلاجها وتصحيحها ، وكانت نتيجة تلك المراجعة أن هناك خيرا كثيرا قدمته الجماعة للإسلام ودعوته وأيضا وجدنا هناك من الخلل ما يستحق المعالجة وقمنا بذلك من خلال الإصدارات الأربعة وغيرها التي تم نشرها .[1]

ثالثا : مثلت المبادرة فرصة للإعلان عن المواقف الشرعية الصحيحة في مجموعة من القضايا التي رأينا أن هناك من يلصق بنا وبدعوتنا موقفا غير صحيح ، بالإضافة إلى إحساسنا بأهمية توضيح ذلك الموقف الصحيح في أذهان الكثير من العاملين للإسلام ومن هنا تم خلال جلسات المحاكمة التي أعلنت فيها المبادرة صدور عدد من البيانات التي تتناول قضايا مثل : تأييد ودعم موقف الدولة بشأن تغيير قانون الإيجارات للأراضي الزراعية بما يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية ، وبيان خاص بدعم الانتفاضة الفلسطينية حتى يتم تحرير القدس وفلسطين المحتلة والوقوف صفا واحدا مع كل من يدعم تلك الانتفاضة الباسلة من كافة الاتجاهات السياسية والمؤسسات الحكومية ، وجاءت هذه البيانات لتنشئ منطقا جديدا في التعامل مع الدولة أو الاتجاهات السياسية الأخرى يتمثل في دعم صوابها ومواقفها متى وافقت الشرع الحنيف .

رابعا : كانت المبادرة استجابة لرؤية تستبصر الواقع في مصر والعالم فقد انتهينا من خلال قراءة الواقع قراءة متأنية إلى أننا بصدد مواجهة مجموعة من التحديات العديدة التي كان قرار المبادرة الواعي لإنهاء العمليات القتالية ومنع العنف يمثل الاستجابة الصحيحة لها ، وهذه التحديات أهمها وأخطرها :

---

(١) وهي سلسلة : تصحيح المفاهيم التي صدرت عن مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة .

١- **الخطر الناشئ** من محاولات تسييد الحضارة الغربية على حساب الهوية الإسلامية انطلاقا من مقولات : نهاية التاريخ ، وصدام الحضارات ، **وكانت العمليات القتالية بمصر تصب في خانة تقوية قيم الحضارة الغربية على حساب القيم الإسلامية .**

٢- **الخطر الناشئ** من بروز سياسة الحصار ومن ثم الاستئصال لتجليات الظاهرة الإسلامية سواء كانت دولة أو حركة أو أقلية ؛ وذلك على مستوى استراتيجيات القوى الدولية المناهضة للإسلام ، **وكان استمرار العمليات القتالية يجعل المناخ مهيئا لإتمام هذا الاستئصال أو إحكام الحصار بدعوى مواجهة الإرهاب والحرب الوقائية ضده .**

٣- **السعي الإسرائيلي الحثيث** إما لقيادة المنطقة أو لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى ، وذلك في ظل تحريض إسرائيلي للعالم على مواجهة الأصولية في العالم الإسلامي ، وكان استمرار العمليات القتالية بمصر يحقق لإسرائيل هدفين هامين : **التخلص من حركة أصولية مقلقة لها ، واستنزاف قدرات مصر كدولة لها دور مركزي في أي مواجهة مع إسرائيل في المستقبل** ، فضلا عن أن هذا الاستنزاف يحقق تهميش الدور المصري في المنطقة لصالح تمدد الدور الإسرائيلي .

٤- **الخطر الناشئ** من محاولات بعض دوائر أقباط المهجر لتوظيف الضغوط الدولية ضد مصر لتحقيق مكاسب غير مستحقة أو مشروعة بدعوى أن الأقباط يتعرضون لعمليات تستهدفهم من الجماعات الإسلامية والحكومة تتستر على ذلك ، وكان استمرار العمليات التي يستهدف بعضها الأقباط يمثل ذريعة يتذرعون بها لاستمرار الضغط والابتزاز خاصة مع إحساس هذا النفر من أقباط المهجر ببروز سياسة دولية لتنمير الأقليات وتحريضها ضد الحكومات التي تعيش في كنفها ، حتى بلغ الأمر ببعض أقباط المهجر أن يطلب تدخل الأمم المتحدة لحماية الأقباط في مصر ، بينما دعا البعض الآخر منهم الحكومة الأمريكية إلى تطبيق قانون التحرير من الاضطهاد الديني على مصر بنفس الذريعة وكان من

الضروري التنبيه إلى أهداف هؤلاء وعزلهم عن التأثير السلبي على الأغلبية القبطية المسالمة بمصر .

٥- **الخطر الناشئ** من احتدام الصراع بين دعاة الفكرة الإسلامية ودعاة الفكرة العلمانية حيث يظهر جليا أن هناك بعض - نقول بعض وليس كل - من المعارضين للفكرة الإسلامية يوظف العمليات القتالية في مصر لتحريض السلطات على كل ما هو إسلامي لإحراز النصر الحاسم على دعاة الفكرة الإسلامية وكان واجبا علينا أن نحرمهم من هذه الفرصة .

٦- **الخطر الناشئ** من الاضطراب المتزايد في المشهد الاجتماعي بمصر وذلك من خلال بروز ظواهر مجتمعية سلبية كالبلطجة ، ودعاوى الإباحية بشتى صورها ، وبروز ظاهرة عباد الشيطان ، وانتشار المخدرات في شتى الأوساط ، والزواج غير الشرعي ، والتفاوت الهائل في الدخول والإنفاق الترفي المستفز إلى غير ذلك .

وكان استمرار العمليات القتالية يمثل - في نظرنا - استمرارا لتفاقم هذه الظواهر لانشغال الجميع بذلك الصراع وغياب الدعاة الذين يمكن أن يمثلوا عامل توازن قيمي وأخلاقي في ضمير المجتمع .

تلك هي رؤيتنا لأهم تحديات الواقع وأخطاره التي دفعتنا إلى اتخاذ قرار المبادرة كاستجابة صحية لذلك .

وإذا انتقلنا لرؤية واقع الجماعة فقد وجدنا أن استمرار هذه العمليات يزيد من أزماتها سواء بالنسبة للمعتقلين أو المحكوم عليهم وأسرهم أو دعوتها ، بل أننا قد لاحظنا تسرب انحرافا في الفهم الصحيح للدين من جراء هذه المواجهات لبعض المنتسبين للجماعة حتى أصبح ينظر للجماعة الإسلامية على أساس أنها تتمحور حول قضية الجهاد فحسب رغم إن الجماعة الإسلامية جماعة تأخذ الإسلام بشموله ولا تتمحور حول الجهاد فحسب .

كان من الطبيعي وواقع الجماعة هكذا أن تأتي الرؤية الشرعية للجماعة لتلك الأحداث لتقرر حرمة استمرار تلك المواجهات .

خامسا : ترجمت المبادرة الفهم الصحيح للجهاد كحكم شرعي يرتبط وجودا وعدما مع توفر الأسباب الموجبة له والشروط المتطلبة لإنفاذه وانتفاء الموانع المانعة من إمضائه ، والمصالح المقصودة به في إطار التحديد الصحيح للأولويات على أساس من رؤية الواقع وتحدياته والاستجابة الصحية له .

سادسا : كشفت المبادرة عن تنوع الأدوات الإسلامية للتعامل مع الواقع وأبانت الخطأ الفادح في حصر هذه الأدوات في الجهاد فحسب ، فقد أباحت الشريعة الصلح مع كل أحد لتحقيق ما يعظم حرمات اللّه ويعلي من شعائره ويدفع المفاسد ويحقق المصالح ، وأباحت التعاون أو التحالف على البر والتقوى ضد الإثم والظلم والعدوان .

وهكذا جاءت المبادرة مترجمة لأمور عدة :

- ○ مترجمة لواجب المراجعة .
- ○ مترجمة لفقه الجهاد الصحيح .
- ○ مترجمة لفقه الواقع وتحدياته .
- ○ مترجمة لفقه المصالح والمفاسد والموازنات .
- ○ مترجمة للترتيب الصحيح للأولويات .
- ○ مترجمة لتنوع الاستجابات الشرعية لمواجهة المعطيات الواقعية .

وهذه الأمور تقف على طرف النقيض من رؤية القاعدة التي تجعل الجهاد هو الاستجابة الوحيدة الصحيحة لمواجهة الواقع ، وترفع منطق التحدي فوق مبدأ الحسابات واستثارة الأعداء وتجبيههم بدلا من تحييدهم ، وتسعى لإقامة دولة إسلامية بالتضحية بدولة إسلامية قائمة وتستثير حربا صليبية رغم أن الأمة الإسلامية في أوهن حالاتها ؛ فأتت أعمالها مخاصمة لفقه المصالح والمفاسد وفقه الأولويات والموازنات وصار لسان حالها أنها تريد الجهاد للجهاد ، وهو ما ستكشف عنه هذه الدراسة عبر الصفحات التالية .

○ ○ ○